علم الميقات بالمغرب الأوسط دلائل القبلة لأبي علي المتّيجي (ق6هـ/12م) أنموذجا

.أ.نصيرة عزرودي،
قسم العلوم الإنسانية و الإجتماعية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Abstract.

The ancestors used their traditional and scientific knowledge to solve the difficult problems that were posed by the religious practices to define the exact time for the five prayers and "qibla". To define the direction of Mecca, they observed the rises and Maghreb of some stars, but this doesn't deprive the occurrence of some mistakes that the ordinary people and scientists fell into to define the exact direction of "qibla". This led to a dissatisfaction of some religious persons Sheets as Abu Ali al-Matidji who criticised severely these mistakes and he dealt with the religious and astronomical solutios to define the exact direction of قبلة so that the Muslim prayers are true and acceptable and in this paper we will give a general evaluation of what came in the book "dala 'il al-qibla" for Abu Ali al-Matidji as a participation from us to establish a real consciousness about the Algerian doctrinal heritage of which are Sheets in the manuscripts drawers.

مقدّمة

استخدم الأوائل معارفهم العلمية التقليدية لأجل حلّ المشاكل الصعبة التي تطرحها الممارسة الدينية لتحديد الوقت المضبوط للصلوات الخمسة والقبلة، فلتحديد اتجاه مكّة اعتمدوا على ملاحظة مطالع ومغارب بعض النجوم، لكن هذا لم يمنع من وقوع أخطاء وقع فيها العامّي والجاهل لتحديد اتجاه القبلة الصّحيح ممّا ترتّب عليه حصول استنكار من قبل بعض الفقهاء المجتهدين من أمثال فقيهنا أبو علي المتيجي الذي ندّد بشدة هذه المغاليط وتطّرق إلى الحلول الفقهية والفلكية لضبط اتجاه القبلة حتى تصّح صلاة المسلم.

وفي هذه الورقة سنعطي تقييما عاما لما جاء في كتاب دلائل القبلة لأبي علي المتيجي، مساهمة منّا في تأسيس وعي حقيقي بالتراث الفقهي الجزائري الذي بقيت صفائحه في خزانات المخطوطات.

أولا: دلالة علم الميقات:

يندرج هذا المخطوط ضمن علم الميقات، يتعرف منه أزمنة الأيام والليالي وأحوالها، وكيفية التوصل إليها، ومنفعته معرفة أوقات العبادات، ونواحي جهتها، والطوالع من أجزاء البروج، والكواكب الثابتة التي منها منازل القمر، ومقادير الأظلال والارتفاعات، وانحراف البلدان بعضها عن بعض وسموتها.[1]

بذل الفقهاء المغاربة جهودا مضنية في التصنيف في علم الميقات، واجتهدوا في مسائل تتعلق بتحديد اتّجاه القبلة في المساجد، قصد تبرير التّوجيه الخاطئ لقبلة أكثر المساجد المغربية.[2]

والمخطوط الذي نحن بصدد التّعريف به يعالج مسألة الجدل الكبير الذي دار بين الفقهاء وأوساط العلماء حول الطرق الموصلة للقبلة، وبسط الدلائل القوية التي تثبت أنّ المحاريب في بلاد المغرب الإسلامي مغلوطة الاتجاه إلى القبلة، ومعرفة أسباب هذه التجاوزات من قبل العامّة وحتى العلماء، ووضع الحلول لتفاديها.

ثانيا: بطاقة تعريفية على المخطوط:

من خلال تحرّي مصنّفات علم التوقيت بالمغرب الأوسط ثبت لنا أنّ هذا المؤلف هو المصنّف الوحيد لعلماء المغرب الأوسط يرجع إلى القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، عنوانه الكامل" كتاب دلائل القبلة" للفقيه أبو علي المتيجي[3] (توفي بعد سنة 530هـ/1136م)(4)، وضعه تحديدا لأهل أغمات وريكة[5]، من أجل ضبط قبلة مسجدهم [6] الذي بناه أميرها وطاس بن كردوس من بني أمية سنة 245هـ/859م، حضر نصب قبلة جامعها الفقيه أبو محمد عبد الله الأندلسي مع كثير من الفقهاء والصّالحين، نصبت قبلته إلى قلب العقرب ، وقريب من مرجع الشتوي.[7]

يعدّ أبو علي المتجي مرجعا فقهيا هامّا، اشتهر بمدينة أغمات في أيام يوسف بن تاشفين(400 . 500هـ/ 1106 . 1009م)، وعاش بها إلى عشر الثلاثين والخمسمائة [8]، ألّفه بطلب من أبي زيد عبد الرحمن ومن عنده في الرباط من جماعة المسلمين لأجل تيسير الطرق الموصلة إلى معرفة القبلة في المغرب الأقصى، وكيفية الاستدلال عليها وطريقة التوصل بالحقيقة إليها، وذلك لما كان يقع من التخاصم حولها بين الناس كالذي حدث بين الشيخ التونسي[9] والفقيه الطيب(القافني) [10] الغافقي الاسفاقسي رحمه الله في مدينة أغمات وما حولها من الخلاف فيها والنزاع في أمرها.[11]

هذا الخلاف والنزاع وقع فيه الفقيه أبو علي المتيجي مع رجل من أهل الدين والفضل والتحري لنفسه ولدينه من أغمات لم يسمّيه لنا أنكر على المتيجي قوله أنّ مكة ليست من خطّ الزوال بالنسبة للمغرب، وهو رآها عيانا في خطّ الزوال، فجادله المتيجي وأقنعه بغلطه، فاعترف قائلا:" والله لا أتكلّم بعد هذا اليوم أبدا في القبلة، وأتكلم بما ثبت ربما صحّ عندك فيها."[12]

ذكره العبدري في رحلته بصاحب "الرسالة في القبلة"، علّق عليه عند ذكره المسافة من أيلة إلى مكة نصف شهر، بعد أن غلط فيها، لكنه لم يستنكر منه هذا الغلط، مبررا ذلك بأنّ من لم يشاهد الشيء يصعب عليه وصفه، لذا قلّما يسلم فيه من الغلط.(13)

من خلال قراءة المخطوط يتّضح أنّ المتيجي ألف كتابه خاصة بعد أنّ لاحظ الكثير من الأخطاء والمخالفات على القبلة في القيروان وسبتة والمغرب سواء بلغه أمر التحريف عن بعض المساجد ولم يشاهد ذلك أو شاهد عيانا تلك الأخطاء، واستمر في تحري تلك الأخطاء حتى بعد تأليف كتابه، ففي ذلك يقول:" وقد بلغني بعد تأليف هذا الكتاب بنحو من ثمانية أعوام أنّ السلطان وفّقه الله عمد إلى الجامع الأكبر في مصرة، وكان مبنيا على ما هي مساجد المغرب كلها إلى خطّ الزوال، فلمّا صحّ عنده تغريبه عن حقيقة القبلة هدمه وجدّد بناءه، وصرف قبلته إلى ما يجد فيها من التحقيق واستقبل بذلك المشرق، فنظر صحيح واستدلال منه قويم على علم ثابت عنده وعند العلماء الذين معه حسب ما يجب في ذلك بالحنت، ذكر ذلك في هذا التأليف فإنه قدوة في ذلك وحجة عليهم.[14]

قسّم المتّيجي كتابه إلى ثلاثة أبواب ، الأول في بيان وجوه التوجه إلى القبلة، وبيان ضروب الطرق الموصلة إليها وبيان ضروب المصلين إليها، والثاني في بيان وجوب الاجتهاد في طلبها وكيفية البحث عنها ووجوب الرجوع إليها على من أخطأها، والثالث في بيان اختلاف الغالطين فيها وذكر أسباب غلطهم وذكر العلامة الفاسدة ، وبيان وجوب إرشادهم وكيفية الردّ عليهم.[15]

ثالثا: الوصف المادي للمخطوط:

بداية المخطوط:

بسم الله الرّحمن الرّحيم، صلّى الله على سيدنا ومولانا محمد، قال الفقيه أبو علي المتيجي رحمه الله: الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة على النبي المصطفى محمد وآله وسلم أجمعين على التّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدّين، فكما أري لنا الحقّ حقّا وأوضح لنا سبيله ووفقّنا إلى اتّباعه والعمل به إليه والقبول الأمين الأخ الصّالح أبو زيد عبد الرّحمن وفّقك الله.

نهاية المخطوط:

وأرغب إلى الأخ الصّالح في الدّعاء لي بمثل ذالك نفع الله بعضنا ببعض، وجعل إخوتنا مقربة من رحمته أمين وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم تسليما، والحمد لله ربّ العالمين، انتهى بحمد الله وحسن عونه لي وصلّى الله وسلم على سيدنا ومولانا وصحبه وسلم تسليما.

مكان المخطوط: ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية بباريس (BNP) Biblioteca Nacional de París تحت رقم 5311، من الورقة 53 . 129.

عنوان المخطوطة: ليس لها عنوان.

المؤلف: أبو علي المتّيجي.

عدد الأوراق: 152.

المسطرة:18 سطر.

المقاس: 18× 13سم.

الخط: نسخي مغربي واضح ومقروء، كتبت أغلبها بخط، يوجد في بعض صفحاته بعض الخروم أودت بكلمات المخطوط.

التعقيبة: موجودة.

الناسخ: غير مذكور.

تاريخ النسخ: غير مذكور.

رابعا: أهمية مخطوط "دلائل القبلة":

يعالج المخطوط الطرق الموصلة إلى معرفة القبلة، وبسط الأقوال فيها بالاعتماد على أراء متقدّميه من علماء المذهب المالكي، بغية تصحيح أخطاء قبلة محاريب بلاد المغرب، وبيان أسباب هذه الأغاليط الذي أساسه التقليد الأعمى الذي جعل المغاربة يسترسلون في الخطأ، إلى جانب سوء تأويل الأحاديث النبوية، والتكلم في أمر القبلة بالجهل وعدم العلم، مع إتّباع هوى النفس ومعاندة الحق.

اختصّ هذا المصنّف بعلم التوقيت أساسا بطرحه لقضايا فقهية حاصلة بين علماء المغرب والمشرق في تحديد اتجاه الكعبة التي تقع شرق المغرب، خاصة عند الحجّاج المغاربة الذين يخطئون في تقدير اتجّاه مكة، ويؤكدون أنها في جهة الجنوب(الزوال)، حتى بعد قيامهم بالحجّ، وذهابهم شرقا وعودتهم غربا.[16].

مستندين في ذلك على أهل الأهواء الذين لا ينطلقون من التفسير الصحيح للأحاديث النبوية، وعلى الرغم من ذلك فأغلبية المغاربة يتّبعون مقولاتهم بإخلاص، لأنّ حبهم للحياة تغلّب على رغبتهم في معرفة الحقيقة فيما يخصّ القبلة ومواضيع أخرى، يقول هؤلاء الجهّال بأنّ قبلة مساجدهم قد حدّدت من طرف أجدادهم بطريقة صحيحة، ويرفضون الاجتهاد فيها، فاتفقوا أنّ الوجهة الصحيحة هي الزوال، وكنتيجة لذلك بنوا مساجدهم باتجاه الجنوب، استنادا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم:" مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ "[17]، وهو الأمر الذي ينكره المتيجي ولا يشاطرهم الرأي فيه، لأنهم فسّروا الحديث بطريقة خاطئة [18]، فجاءت غالبية مساجدهم منصوبة إلى خطّ الزوال بناءً على التقليد لا الاجتهاد.[19]

خامسا: طرق لمعرفة القبلة عند أبوعلي المتّجي:

ذكر أبو علي المتيجي خمس طرق أساسية هي: المعاينة ثم الخبر ثم الاجتهاد ثم التقليد ثم التردد [20]، ويؤكد أنّ قبلة الإجماع تكون فقط في المساجد الأربعة، مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد القدس والفسطاط وجامع القيروان.[21]

سادسا: منهجه:

بنى المتيجي مادّته الفقهية على رصيد سابق لجملة من العلماء المالكية هم كالتالي:

مالك ابن أنس(ت. 179هـ/790م)، ابن وهب(ت. 197هـ/813م)، أشهب(204هـ/819م)، ابن حبيب(ت.238هـ/853م)، سحنون(ت.240هـ/854م)، ابراهيم بن الحسين أبو اسحاق(ت.240هـ/854م)، أحمد بن خالد(ت.240هـ/854م)، المحاسبي(ت. 243هـ/857م)، محمد بن عبد الحكم(ت. 268هـ/882م)، عيسى ابن مسكين(ت.315هـ/972م)، ابن أبي زيد القيرواني(ت. 386هـ/996م)، الخطابي(ت.388هـ/998م)، أبو الحسن بن القصار المالكي(ت. 398هـ/1008م)، أبو جعفر أحمد ابن نصر الداودي (ت 403هـ/1174م)، (ت.402هـ/1012م)، أبو عبد الله بن سفيان(ت. 415هـ/1024م)، عبد الوهاب(ت. 422هـ/1030م)، موسى ابن عيسى ابن أبي عمران الفاسي(ت. 430هـ/1038م)، أبو بكر بن عبد الرحمن(ت. 434هـ/1043م)، أبو ذر الهروي(ت.435هـ/1044م)، عبد المؤمن القروي(ت. 435هـ/1044م)، السيوري القروي(ت. 460هـ/1067م)، ابن عبد البر(ت. 463هـ/1071م)، أبو الحسن اللخمي(ت. 478هـ/1085م)، الشيخ التونسي أبو اسحاق ابراهيم بن الحسين(ت.485هـ/1092م)، عبد الحميد ابن الساج أبو محمد(ت. 486هـ/1093م)، الزلوان اللمطي(عاش حوالي445هـ/1053م)، أبو الفضل النحوي(ت. 513هـ/1119م)، أبو عبد الله ابن يونس المالكي(توفي حوالي 522هـ/1128م).

كما اعتمد على العديد من المؤلفات الفقهية المالكية كالمدونة والموطأ كتاب النوادر والمنتقى والتبصرة وجامع العتبية، والاستذكار، وأثرى مادّته الفقهية بمؤلفات متخصّصة في القبلة منها كتابين هامين أولاهما لأبي جعفر أحمد

ابن نصر الداودي الأسدي، المسيلي مولدا، الطرابلسي نشأة، التلمساني المالكي وفاة(ت 403هـ/1174م)، بعنوان: في رسم القبلة والتوجه إليها في كل بلدان القبلة فيما دون مكة إلى المغرب".[22]

والثاني لأبي الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي التوزري(ت 513هـ/1119م) كراسة في كيفية استخراج القبلة في المغرب الأقصى.[23]

وعلى كتاب لمؤلف مجهول بعنوان "كتاب في استعمال الأسطرلاب في التماس أنواع العموم"، وصفه أنّه حسن التأليف، جيّد التصنيف، وصف صاحبه بأنه من أهل العلم، على الرغم من إطرائه على هذه الشخصية فإنه عبّر عن خطئه في استخراجه القبلة لسوء التأويل، وسوء الاعتقاد فيها.[24]

وكتاب حول كيفية العمل بالميزان الفزاري لمؤلف مغربي لم يذكر اسمه، استعمله في كيفية استخراج القبلة[25]

الخاتمة:

من خلال القراءة السّريعة لهذا المخطوط القيّم أدركنا أهميته لذا نحن نسعى في المستقبل القريب إلى تحقيقه ونشره، خاصة بعد أن أحالنا أحد المختصّين المغاربة إلى وجود نسخة ثانية له بإحدى الخزائن المغربية، فهو بحقّ مصدر موثّق لقضايا فقهية وفلكية وتاريخية اشتركت فيها دول الغرب الإسلامي، ولعلّ أهم قضية مثارة آنذاك هي اتجاه القبلة المغلوط في سائر بلاد المغرب الإسلامي، ومعالجة أسباب هذا الغلط بحجج فقهية وأدلة تاريخية ونصوص فلكية.

الملاحق:

ملحق:

1. الورقة الأولى والأخيرة من مخطوط دلائل القبلة لأبي علي المتيجي:

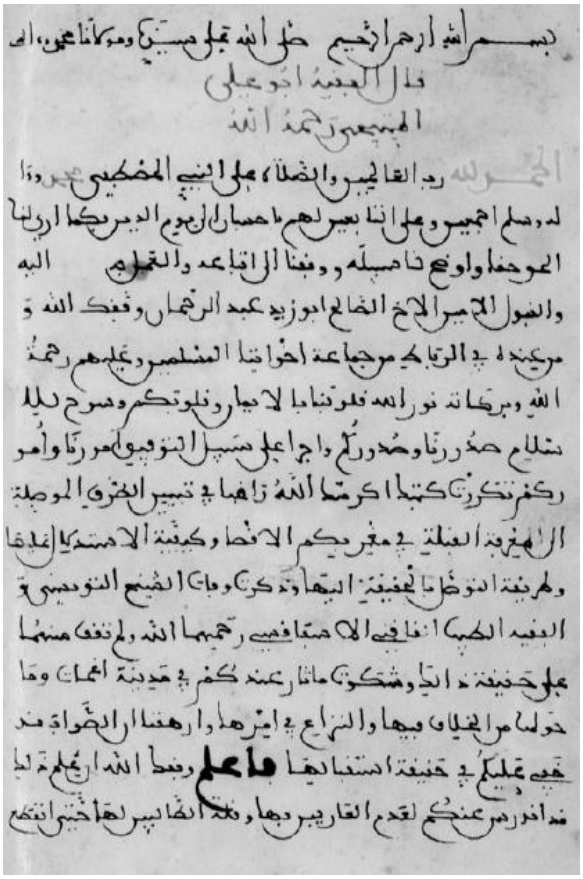

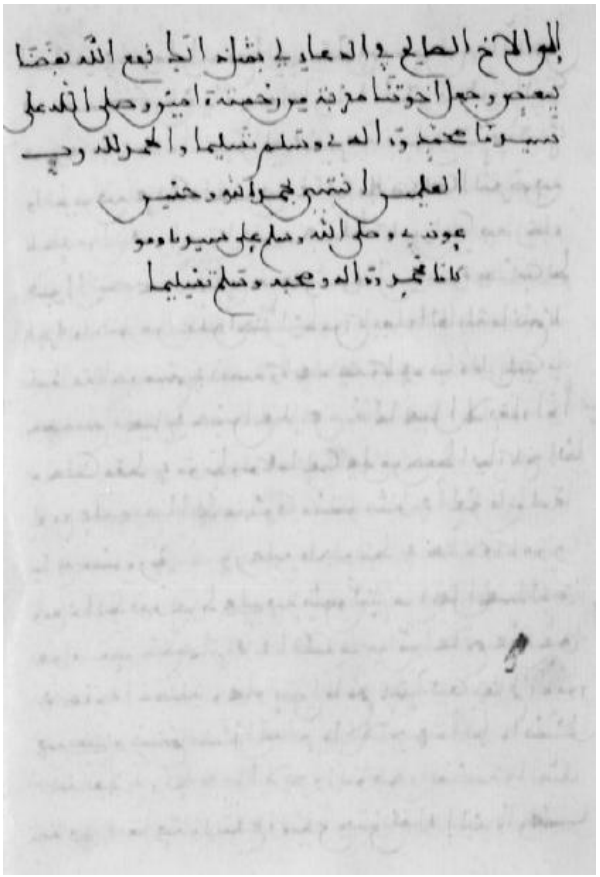

الهوامش:

(1) طاش كبري زادة، أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985، ص359 . ابن الأكفاني، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، تحقيق عبد المنعم محمد عمر، ومراجعة أحمد حلمي عبد الرحمن، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت، ص206.

(2) للمزيد حول هاته المؤلفات. أنظر، محمد العلمي، الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي، ط 1، الفصل الأول من القسم الثاني المعنون بـ: مؤلفات المالكية في أحكام التوقيت، منشورات مركز البحوث والدراسات في الفقه المالكي التابع للرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، 2012، ص345 . 351 . وللتعرف على مؤلفات علماء الغرب الإسلامي في القبلة وتفاصيل على مصنّفاتهم أنظر: **Mònica Rius Piniés,La alquibla en al–Andalus y al–Magrib al–Aqsà, Anuari de Filologia (Universitat de Barcelona) XXI (1998–99) B–3,lnstitut "Millás Vallicrosa" d'História de la Ciencia Arab, Barcelona,2000,p 30–41**

(3) لم تتحدث كتب التراجم عنه إلا ناذرا وان ذكر ففي معرض الحديث عن شخصيات عاصرته، من ذلك القاضي عياض

في الغنية ذكره في معرض الحديث عن شخصية الفقيه عبد الله بن أحمد بن خلوف الأزدي المعروف بابن شبون(ت.533هـ/1143م) الذي عاصر الفقيه أبا علي المتيجي والتقى به في أغمات، وأثنى عليه كثيرا. القاضي عياض، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق زهير جرار، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1982، ص155.

(4) **M. Rius, "La orientación de las mezquitas según el Kittib dala 'il al–qibla de al– Mattiyi (s . XII)", De Bagdad a Barcelona, J. Casulleras y J. Samsó, eds., Barcelona, 1996,p781 –830.**

(5) صالح بن أبي صالح عبد الحليم المصمودي، القبلة في الأندلس والمغرب الأقصى، تحقيق مونيكا ريوس، قسم التحقيق، منشور في كتاب **La alquibla en al–Andalus y al–Magrib al–Aqsa** ، ص32. وعن أغمات وريكة مدينتان قديمتان، فتحهما عقبة بن نافع سنة 62هـ. المصدر نفسه ، ص43 . 44.

(6) يذكر أبو علي صالح بن أبي صالح عبد الحليم المصمودي أنّ قبلة أغمات ومراكش وأسفي متقاربة لكونهم في إقليم واحد، ولم يكن بينهم بعد كثير في السمت ولا في المسافة. أنظر ، صالح بن أبي صالح عبد الحليم المصمودي، المصدر نفسه(قسم التّحقيق)، ص33.

(7) صالح بن أبي صالح عبد الحليم المصمودي، المصدر نفسه، ص44 . 45

(8) أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق على محمد البجاوي، مراجعة محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، القسم الرابع، ص1394.

(9) الشيخ التونسي (ت. 436هـ/1045م) بينما يذكر ابن بشكوال أنه توفي بأغمات سنة 485هـ/1092م ,**rius M .p783 –**

(10) وردت في المخطوط باسم الغافني وربما قصد به الغافقي، لم نعثر على أية ترجمة له.

(11) أبو علي المتجيبي، كتاب دلائل القبلة، ضمن مجموع مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس (Biblioteca Nacional de París (BNP) تحت رقم 5311(من الورقة 53 . 129)، ورقة رقم53.

(12) أبو علي المتجيبي، كتاب دلائل القبلة، ورقة رقم 67 ظهر.

(13) أبو عبد الله العبدري، رحلة العبدري، تحقيق علي عبد إبراهيم كردي، ط 2، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2005، ص337.

(14) أبو علي المتجيبي، كتاب دلائل القبلة، ورقة رقم82 وجه وظهر.

(15) أبو علي المتجيبي، كتاب دلائل القبلة، ورقة رقم 54 وجه.

(16) أبو علي المتجيبي، كتاب دلائل القبلة، ورقة رقم 122 وجه وظهر.

(17) حديث صحيح رواه التِّرمذيُّ في سننه،أنظر، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصّحيح وهو سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط2، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1977، 171/2. (كتاب الصّلاة 3 باب ما جاء أنّ ما بين المشرق والمغرب قبلة، 356 حديث رقم: 343)، وابن ماجه في سننه، أنظر، ابن ماجة، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، مصر، 323/1،(كتاب إقامة الصّلاة 5 باب القبلة 56، رقم الحديث 1011).

(18) M. Rius, "La orientación de las mezquitas según el Kittib dala 'il al-qibla de al-Mattiyi ,p323.

(19) أبو علي المتجيبي، كتاب دلائل القبلة، ورقة رقم 69 ظهر

(20) أبو علي المتجيبي، كتاب دلائل القبلة، ورقة رقم 60 ظهر.

(21) نفسه، ورقة رقم 90 وجه.

(22) أبو علي المتجيبي، كتاب دلائل القبلة، ورقة رقم 113 . 144 ظهر.

(23) ذكر المصمودي عنه أنه كتاب حفيل في فنّه، ولكنه بناه على الهندسة وقلّ من يفهمه. صالح بن أبي صالح عبد الحليم المصمودي، القبلة في الأندلس والمغرب الأقصى، (قسم التّحقيق)، ص13.

(24) أبو علي المتجيبي، كتاب دلائل القبلة، ورقة رقم 119 ظهر.

(25) أبو علي المتجيبي، نفسه، ورقة رقم 120 وجه